الجامع لأحكام القرآن

لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي

اعتنى به وصححه

الشيخ هشام سمير البخاري

الجزء الأول

دار عالم الكتب
للطباعة والنشر والتوزيع
الرياض

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة الناشر

الحمد لله حمداً طيباً، يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد،

إن من واجبات المسلم العمل لخدمة الإسلام والمسلمين كلّ في مجال عمله وتخصصه ونحن في دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع نسعى بكل جهد أن نقدم لطلاب العلم والباحثين الكتب الجادة والمفيدة، وحرصنا على نشر المزيد من التآليف التي تعود بالخير على أمة الإسلام، هادفين إلى الإسهام في إشاعة المفاهيم الإسلامية الصحيحة المستقاة من كتاب الله العظيم وسنة رسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه، فعمدنا إلى طباعة ما أنتجه العلماء الاجلاء والأئمة الفضلاء من السلف الصالح، لتزويد المسلم بما ينفعه في دينه ودنياه، وبما يزيد في معرفته وتفقهه في الدين..

وقد أعاننا الله تعالى في مسعانا وهيأ السبيل للوصول إلى مبتغانا، وها نحن بحمده وفضله نصدر هذه الطبعة الجديدة من (الجامع لأحكام القرآن) لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي آملين أن تكون الفائدة المرجوة محققة لما هدفنا إليه.

والله ولي التوفيق.

الناشر

دار عالم الكتب

للطباعة والنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدّمة الطبعة الثانية

بقلم أحمد عبد العليم البردوني

لَعلّنا في غير حاجة إلى تعريف القرّاء بهذا التفسير العظيم، بعد أن عرفوه في طبعته الأولى؛ فأقبلوا عليه إقبالاً منقطع النظير. إذ لم يكد يخرج منه جزء حتى تهافت عليه الجمهور، ممن عرفوا فضلَ القرطبي وعلمَه وأدبَه، ودقّته في تأويل كتاب الله تعالى، وعَرْض أقوال الأئمة من جهابذة المحققين، وأُولي البصر بكتاب الله من أعلام المجتهدين.

ولقد رأى القرّاء حين طلع عليهم تفسير القرطبي مبلغ ما بذله مؤلّفه فيه من جهد كبير، وعناية فائقة؛ يدلاّن على عُمقه في البحث، ومقدرتِه على فهم كتاب الله، وإلمامِه بأصول علوم الشريعة وفروعها، من لغة وأدب وبلاغة. يتجلّى كل أولئك في استنباطه الأحكام الشرعية من نصوص الآيات الكريمة، حتى ليكاد يستغني به القارىء عن دراسة كتب الفقه، ثم في استشهاده بكثير من النصوص الأدبية من لغة العرب شعرها ونثرها؛ مما يشهد له بطول الباع وسَعة الأفق.

وإن أُخذ عليه شيء فليس إلا هَنَاتٍ يسيرةً، لا تنقص من مقداره، ولا تغضّ من قيمته؛ فقد ينبو الحسام، وقد يكبو الجواد.

فمن ذلك أنه خالف أحياناً ما اشترطه على نفسه في مقدّمة كتابه إذ يقول: «. . . وأضرب عن كثير من قَصص المفسرين، وأخبار المؤرّخين؛ إلا ما لا بُدّ منه، ولا غنى عنه للتبيين. . . ».

فليس مما لا بُدّ منه أو لا غنى عنه ما ينقله عن كعب الأحبار: «أن إبليس تغلغل إلى الحوت الذي على ظهره الأرض كلها، فألقى في قلبه فقال: هل تدري ما على ظهرك يا لوثيا[١] من الأمم والشجر والدواب والناس والجبال! لو نفضتَهم ألقيتَهم عن ظهرك أجمع. قال: فهمّ لوثيا بفعل ذلك؛ فبعث الله دابة فدخلت في منخره، فعجّ إلى الله منها فخرجت[٢] . . .».

وليس مما لا بُدّ منه: «أن الحية كانت خادم آدم عليه السلام في الجنة فخانته بأن مكّنت عدوّ الله من نفسها وأظهرت العداوة له هناك، فلما أهبطوا تأكّدت العداوة وجعل رزقها التراب[٣]».

وليس مما لا بُدّ ما يرويه عن ٱبن عباس قال: «سألت اليهودُ النبيّ ﷺ عن الرعد ما هو؟ قال: مَلَك من الملائكة معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله[٤]».

وليس مما لا بُدّ منه ما ذكره عن كلب أصحاب الكهف والاختلاف في لونه وفي ٱسمه[٥]. ولا ما يرويه عن الزُّهري في قوله تعالى: ﴿جاعِلِ الملائكةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾: أن جبريل عليه السلام قال له: «يا محمد لو رأيت إسرافيل إن له لاثني عشر ألف جناح، منها جناح بالمشرق، وجناح بالمغرب، وإنّ العرش لعلى كاهله، وإنه في الأحايين ليتضاءل لعظمة الله حتى يعود مثل الوَصْع[٦] . . .».

ولا ما ذكره في قوله تعالى: ﴿ويحمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فوقَهم يومئذٍ ثَمانِيَةٌ﴾: أن فوق السماء السابعة ثمانية أوعال[٧] بين أظلافهنّ ورُكَبِهنّ مثل ما بين سماء إلى سماء، وفوق ظهورهنّ العرش[٨]».

---

(١) اسم الحوت.
(٢) راجع ١/ ٢٥٧.
(٣) ١/ ٣١٣.
(٤) ١/ ٢١٧.
(٥) راجع ١٠/ ٣٧٠.
(٦) ١٤/ ٣٢٠ والوصع: عصفور صغير.
(٧) الأوعال: جمع وعل، وهو التيس الجبلي.
(٨) ١٨/ ٢٦٧.

إلى غير ذلك من الأمثلة التي ترِد في مناسبات مختلفة، جارَى فيها من سبقه من المفسرين الذين ينقلون عن الإسرائيليّات ولا يتحرّوْن الدّقة في المعلومات الكونية، خصوصاً في الكلام على خلق السموات والأرض، وتأويل الآيات التي تتعرّض للظواهر الطبيعية، أو تشير إلى المسائل العلمية.

وللمؤلف في ذلك كثير من العذر؛ لأنه ـ رحمه الله ـ تابع فيه ثقافة عصره، وما تجري به ألسنة العلماء في ذلك الزمان.

وقد رأت الدار ـ بعد أن تحقّقت حاجة الناس إلى هذا الكتاب، ورغبة الكثير من العلماء في الأقطار الإسلامية في ذيوعه ـ أن تقرّر إعادة طبعه تعميماً للفائدة.

هذا، وسيرى القارىء أننا حرصنا على أن تكون هذه الطبعة موافقة لسابقتها في أجزائها وصفحاتها وأرقامها؛ إلا في تفاوت يسير، يستطيع القارىء أن يدركه في الصفحة التالية أو السابقة.

كما أننا نبهنا في هذه الطبعة إلى أمر لم يكن في سابقتها؛ فعندما يذكر المؤلف عبارة: «على ما يأتي بيانه» نوضّح ذلك في الهامش، مبيّنين موضعه من الكتاب؛ حتى يسهل على القارىء متابعة الدراسة، وربط الكلام بعضه ببعض، دون جهد أو عناء.

ولا يفوتني أن أُنوّه بفضل حضرات الزملاء الذين اْشتركوا معي في تصحيح هذا الكتاب في طبعته الأولى بعد جزئه الرابع، وهم السادة: الشيخ إبراهيم اطفيش، والشيخ بشندي خلف الله، والشيخ محمد محمد حسنين.

والله المسؤول أن ينفع بهذا التفسير الجليل، وأن يجزي مؤلّفه خير الجزاء، وأن يعين القائمين بنشر التراث الإسلامي من أمثال هذا الكتاب العظيم. وأن يوفّق «الدار» في تأدية رسالتها حتى تنهض بهذا العبء الكبير، وتقدّم للعالم أجمع خير تراث تركه الأقدمون.

وصلّى الله على سيّدنا ومولانا محمد، وعلى آله وصحابته أجمعين،

مصححه

أحمد عبد العليم البردوني

١٦ من المحرّم سنة ١٣٧٢ (٦ من أكتوبر سنة ١٩٥٢)

ترجمة
أبي عبد الله القرطبي
مؤلف هذا التفسير[1]

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح (بإسكان الراء وبالحاء المهملة)، الأنصاريّ الخزرجيّ الأندلسيّ القرطبي المفسّر، كان من عباد الله الصالحين، والعلماء العارفين، الورعين الزاهدين في الدنيا، المشغولين بما يعنيهم من أمور الآخرة. أوقاتُه معمورة ما بين تَوجُّهٍ وعبادةٍ وتصنيف.

مؤلَّفاته ـ جمع في تفسير القرآن كتاباً كبيراً في اثني عشر مجلداً، سمّاه كتاب «الجامع لأحكام القرآن، والمبيِّن لما تضمّن من السنة وآي الفرقان» وهو من أجلِّ التفاسير وأعظمها نفعاً، أسقط منه القصص والتواريخ، وأثبت عوضها أحكام القرآن، واستنباط الأدلّة، وذكر القراءات والإعراب، والناسخ والمنسوخ (وهو هذا التفسير). وله كتاب «الأسنى، في شرح أسماء الله الحسنى». وكتاب «التّذكار، في أفضل الأذكار». وضعه على طريقة «التبيان» للنّوويّ، لكن هذا أتمّ منه وأكثر علماً. وكتاب «التذكرة، بأمور الآخرة». وكتاب «شرح التّقصي». وكتاب «قمع الحرص بالزهد والقناعة، وردّ ذلّ السؤال بالكتب والشفاعة». قال ابن فرحون: لم أقف على تأليف أحسن منه في بابه. وله «أرجوزة جمع فيها أسماء النبيّ ﷺ». وله تواليف وتعاليق مفيدة غير هذا. وكان مطّرحاً للتكلّف، يمشي بثوب واحد وعلى رأسه طاقية. قال صاحب «نفح الطِّيب»: إنه من الراحلين من الأندلس.

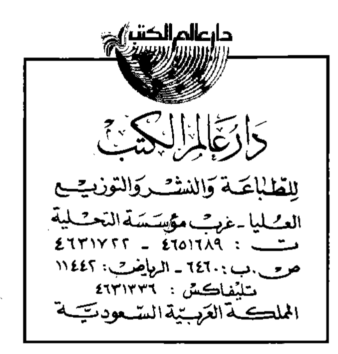
(١) عن «الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب» (مذهب مالك) لابن فرحون، «ونفح الطيب» للمقرىء.

شيوخه ـ سمع من الشيخ أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي بعض شرحه «المُفْهِم، لما أشكل من تلخيص كتاب مُسْلِم».

وحدّث عن الحافظ أبي عليّ الحسن بن محمد بن محمد البكري، وحدّث أيضاً عن الحافظ أبي الحسن عليّ بن محمد بن علي بن حفص اليَحْصِبيّ وغيرهما.

وكان مستقرّاً بمنية ابن خَصيب، وتُوُفِّي ودُفن بها في ليلة الاثنين التاسع من شوّال سنة ٦٧١، رحمه الله ورضي عنه.

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م



قالوا في تفسير القرطبي

١ ـ الإمام القرطبي، مصنِّف «التفسير المشهور» وقد سارت بتفسيره الركبان، وهو تفسيرٌ عظيمٌ في بابه.

الصفدي **«الوافي بالوفيات»**(٢/ ١٢٢)

الداوودي **«طبقات المفسرين»** (٢/ ٦٩)

٢ ـ هو من أجلّ التفاسير وأعظمها نَفْعاً، أسقط منه القصص والتواريخ، وأثبت عوضها أحكام القرآن واستنباط الأدِلَّة وذكر القراءات والإعراب والناسخ والمنسوخ.

ابن فرحون **«الديباج المذهب»** (٢/ ٣٠٩)

٣ ـ وقد سارت بتفسير العظيم الشأن الركبان، وهو كامِلٌ في معناه.

الإمام الذهبي **«تاريخ الإسلام»** وفيات سنة ٦٧١ هـ

٤ ـ وتبعه القرطبي ـ أي ابن عطية ـ في تلك الطريقة على منهاجٍ واحد في كتابٍ آخر مشهور بالمشرق.

ابن خلدون **«المقدمة»** الصفحة (٤٤٠)

٥ ـ كان ـ أي القرطبي ـ شيخاً فاضلاً، وله تصانيف مفيدة، تدلّ على كثرة اطلاعه ووفور علمه ومنها تفسير القرآن، مليح إلى الغاية، اثنا عشر مجلداً.

المقري **«نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب»** (٢/ ٤١٠)